

## عصر الولاية

انتهى الفتح وصار المغرب إقليما إسلاميا أمويا، وصار عبء تسييره على كاهل الدولة التي صارت تعين ولاية على رأسها إما من دمشق أو الفسطاط مركز ولايات المغرب كاملا. وقد استمرت هذه الفترة حوالي ربع قرن تعاقب على البلاد خلالها ست ولاية توزعت اهتماماتهم بين توسيع مجال الدولة وتنظيم البلاد الإداري والمالي، لكن عملهم كان مشوبا بأخطاء وتجاوزات فجرت الأوضاع.

### 1- الولاية المتعاقبون

كان عدد الولاية ست ولاية عينوا إما من قبل الخلفاء في دمشق أو من قبل والي مصر لأن المغرب ظل تابعا لمصر في أغلب الأوقات.

\*محمد بن يزيد القرشي (97-99هـ/716-717م) عينه الخليفة سليمان بن عبد الملك.

\*إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر (100-102هـ/718-720م) عينه عمر بن عبد العزيز لتقواه.

\*يزيد بن أبي مسلم (102هـ/720م) عينه الخليفة يزيد بن عبد الملك وقتل على يد حرسه بعد أشهر، وعوضه مؤقتا قائد الأسطول محمد بن أوس الأنصاري.

\*بشر بن صفوان (102-109هـ/727-728م) والي مصر الذي جمع المغرب ومصر.

\*عبدة بن عبد الرحمن السلمي (110-115هـ/728-733م) عينه الخليفة هشام بن عبد الملك.

\*عبيد الله بن الحباب القيسي (116-123هـ/734-741م).

### 2- أعمال الولاية

يبدأ عهد كل وال بتصفية تركة الوالي السابق بإقصائه وكل أعوانه (القتل- العقاب- مصادرة الأموال- إلغاء التنظيمات...)، لذلك كانت البلاد؛ إلا نادرا، تعيش حالة اضطراب ورعب وخوف في بداية كل ولاية جديدة مما كان يدفع السكان إلى تجنب التورط مع الحكام ويعزفون عن التعاون معهم.

تحظى إدارة البلاد بعناية الولاية، لكن المصادر لا تحتفظ إلا ببعض المعلومات القليلة. فيزيد بن أبي مسلم خلق حرسا من البربر على النمط البيزنطي لحمايته وتعميم الأمن في العاصمة

القيروان، لكنه سيكون وراء قتله (ابن عذاري، ج1، ص48). أما عبيد الله بن الحبحاب فقام بتقسيم إداري جديد للمنطقة فأحدث ثلاث ولايات: ولاية السوس الأدنى (طنجة ونواحيها) وولى عليها عمر بن عبد الله المرادي وولاية السوس الأقصى وولاية إفريقية. ويعود تنظيم المدن على الطريقة الإسلامية إلى هذه الفترة حيث يعين عليها محتسب وتنظم الأسواق ويعين عليها أمناء.

اهتم الولاة أيضا بدورهم في توسيع مجال الإسلام في المناطق المجاورة وكذلك حماية حدوده من الأعداء. وقد عمل أغلب الولاة على ضم مختلف القبائل البربرية إلى الإسلام والدولة الأموية، فهذا "محمد بن يزيد يبعث السرية إلى ثغور إفريقية، فما أصابه قسمه عليهم" أما إسماعيل بن أبي المهاجر ف"ما زال حريصا على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر بإفريقية على يديه" (ابن عذاري ج1 ص47-48). ونظمت غارات وحملات كبيرة على الأراضي الجنوبية وصولا إلى بلاد السودان خاصة على عهد ابن الحبحاب، وكذلك الشمالية خاصة صقلية وسردينيا وجنوب فرنسا التي صارت الصوائف توجه إليها باستمرار وتعود بالغنائم في أغلب الأحيان.

حرص الولاة على تنظيم البلاد وضبط الجباية، فسخروا كل إمكانياتهم للحصول إلى أكبر قدر من المداخل لتغطية نفقاتهم وتضخيم ثرواتهم وشراء مناصبهم من الخلافة في دمشق. فقد كانت الخلافة الأموية منذ انتهاء زمان الفتوح الكبرى في أزمة مالية واحتاجت إلى الزيادة من مداخيلها بكل الطرق، فانتهجت سياسة جباية متعسفة. وقد عانى المغرب من التعسف وصار خاضعا لاجتهادات الولاة في وضعه القانوني وكان الجواب عن السؤال: هل المغرب فتح عنوة أو صلحا؟ محددًا لسلوك الولاة، فالتقاة مثل إسماعيل بن أبي المهاجر يختار الصلح أما عمر المرادي وأمثاله فاخترتوا العنوة واعتبروا كل أرض المغرب وسكانه ملكا للدولة يأخذون منها ما شاءوا ويتركون ما شاءوا. فالمرادي "تعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين" (ابن عذاري 51/1-52). وتوسع النهب ليشمل الإنسان إذ كان العمال تحت طلب الخلفاء "يبعثون لهم بالبربريات السنيات، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب منا هم بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة" (ابن عذاري 52/1). وتعدت التحف ذلك وطلبوا "الجلود العسلية، فتذبح مائة شاة؛ فربما، لم يوجد منها جلد واحد" (أخبار مجموعة ص31-32). وبهذه السياسة المالية خلق الولاة بالبلاد جوا من الغضب والتذمر والسخط في أوساط البربر.

ارتكب الولاة أخطاء كثيرة حيث نقلوا النزاعات العربية المشرقية بين القيسية واليمنية إلى المغرب خاصة في عهد عبيدة بن عبد الرحمن السلمي الذي فضل القيسية؛ وربما كان هذا سبب عزله. وعامل العمال والعرب عامة البربر باحتقار وتهميش حتى وهم في الجيش أو

الإدارة، فقد اعتبروا موالى وعبيدا للعرب، فهذا يزيد بن أبي مسلم يعامل أفراد حرسه البربر كمماليك البيزنطيين بالوشم في أيديهم (اسم في اليمين وحرسى في الشمال) فقتل على أيديهم. وإذا شارك البربر في الغزوات يوضعون في الصفوف الأمامية ويعطون نصف الحصة من الغنيمة لأنهم موالى، وتصرف الولاة في أموالهم وأولادهم وخاصة البنات تصرف المالك دون مراعاة لإسلامهم.

### خاتمة

كان عصر الولاة فترة حاسمة في تاريخ المغرب الإسلامي فقد رسخت من انتمائه للإسلام ودولة الإسلام، لكنها حفلت بأخطاء كشفت عجز المسلمين عن تطبيق تعاليم الإسلام واحترامها في معاملة الشعوب الإسلامية غير العربية مما فجر الوضع وقيام ثورة المغاربة.

%